الجاليات العراقية تفك عقدتها.. وفرح كبير بالديمقراطية الوليدة

مشاهدات وصور من أيام التسجيل والانتخاب في مدينة سويدية

السويد - د. جمانة القروي

درجات الحرارة التي وصلت الى ١٠ تحت الصفر والثلوج التي كانت تغطي الارصفة والشوارع لم تثن جموعاً غفيرة من العراقيين عن الانتظار امام الباب الرئيس للمركز الانتخابي في مدينة يتبوري السويدية في اليوم الاول لتسجيل الناخبين..

شيخ في الخامسة والثمانين من عمره ، دخل الى إحدى محطات المركز الانتخابي والابتسامة تعلو وجهه ، وما ان جلس امام موظف التسجيل حتى قال : طوال عمري كنت احلم بهذا اليوم ، ولكن لم اتخيل انه سيتحقق يوماً.. اليوم لا تسعني الفرحة.. أخيراً سأنتخب من يمثلني بكل حرية ، ومن دون أي ضغط من أية جهة.. ما احلى نسمات الحرية ، التي عشت حياتي كلها اتمناها..

حققت أمنيتها

في اليوم الثاني للتسجيل، وقبل اغلاق المركز الانتخابي بأقل من نصف ساعة دخلت سيدة في أيامها الاخيرة من الحمل كانت بالكاد تسير، إلا انها أبت الا المجيء من شمالي النرويج وتحمل اعباء السفر لمدة تزيد على العشرين ساعة، حتى لا تفوتها فرصة التسجيل وبالتالي الانتخاب..

لقد طلبوا منها المكوث تلك الليلة عند احد الاصدقاء الا انها رفضت ذلك .. قائلة: "رغم اني اعرف ربما الد في الطريق ولكني لا أريد لطفلي هذا ان يلد في الشتات كأخوته.. لذلك سأعود الى مدينتي .. أتمنى ان يحالفني الحظ في العودة للادلاء بصوتي.. أتمنى ان لا تفوتني هذه الفرصة التي ناضل شعبي العراقي لعقود عديدة لتحقيقها ".. وقد تحققت أمنيتها وجاءت لكي تنتخب بعد ان ولدت طفلها في نفس يوم عودتها الى النرويج

امرأة جاوزت سنوات الشباب منذ حين.. دخلت المركز وهي تزغرد باعلى صوتها .. وتقول بصوت مسموع للجميع هذا هو اليوم الذي كنا ننتظره بفارغ الصبر.. ومن اجل هذا اليوم قدمنا أولادنا قرابين للوطن.. من اجل هذا اليوم تحملنا موت أعزائنا.. ومن أجل هذا اليوم تحملنا حرق قرانا وتهجيرنا ، وشتاتنا.. كانت تذرف الدموع الحارة وهي نزغرد..

شيخ تقول أوراقه الثبوتية انه مواليد ١٩٠٢.. أبى الا المشاركة برغم صعوبة الطريق والمسافة الطويلة التي قطعها.. "كيف تفوتني هذه الفرصة.. حتى لو فارقت الحياة في الطريق.. لايهم.. المهم هو انه يجب عليّ المشاركة"... وقد تحقق ما أراد وجاء ليضع ورقة الانتخاب في الصندوق...

شاب في مقتبل العمر الا انه حرم من نعمة البصر، فبرغم انه يعيش في مدينة تبعد عن المركز الانتخابي باكثر من ٧ ساعات ، الا انه جاء ليسجل نفسه مع والده.. الذي قال: لا يمكن ان تفوتنا فرصة التسجيل والانتخاب.. فكم حلمنا بهذا اليوم.. وكم تمنيناه.. والان عندما يصبح حقيقة لا يسعنا الا المشاركة برغم كل شيء..."

انتخب للمرة الاولى في حياتي!

في ايام الانتخاب الثلاثة، كان الناس يتوافدون الى المركز بملابسهم القومية الجميلة.. وخلال فترة الانتظار التي تسبق الدخول الى المركز والتي ربما تدوم ساعات عديدة، كانت الموسيقى العربية والكردية والآشورية تصدح فكانت أيادي المنتظرين تلتحم مع بعضها برقصة الدبكة ومعالم الفرح، والامل بادية على وجوههم..

لم يكن مزيج المشاعر المختلفة على الناخبين فحسب انما كان الفرح والقلق والارتباك بادياً حتى على موظفي مركز الاقتراع، ففي اليوم الاول للانتخابات، عندما دخلت احدى موظفات المحطة التي تعمل بها، لم تكن تستطيع السيطرة على مشاعرها، تقول "لقد اختلطت علي المشاعر، لا استطيع وصفها هل كانت فرحاً، ام قلقاً.. ام ماذا؟ .. هذه هي المرة الاولى في حياتي انتخب.. صحيح اني شاركت في انتخابات السويد، ولكنها لم تكن تعنيني.. أما اليوم فهذا هو الذي من اجله عانيت من سنوات الغربة الطويلة.. لذلك لم يكن من السهل عليّ كتم هذه المشاعر، لقد بانت من ارتجاف صوتي.. ومن ارتجاف القلم في يدي .. أنا اول من وضع استمارة الانتخاب في صندوق محطتي.. أنا فخورة باني سأضع علامة (الصح) على من يمثلني .. ما احلى الحرية..

من اجل طفلي

دخلت امرأة شابة وهي تحمل بين ذراعيها طفلها الذي مضى على ولادته ٤٨ ساعة فقط.. لقد خرجت هذه المرأة توها من المستشفى مباشرة الى المركز الانتخابي.." من اجل هذا الطفل واخوانه.. ولكي تنتهي غربتنا، ونعود الى وطننا واهلنا.. كان يجب علي المجيء والمشاركة في الانتخابات.."

- شيخ تجاوز المئة عام وشاب أعمى وامرأة على وشك الوضع.. سجلوا أسماءهم وانتخبوا

عروسان أصرا على ان يكون الاقتراع مفردة في طقوس الزواج

في منتصف نهار اليوم الاول للانتخابات، إذا برجل شاب وعائلته يدخلون احدى محطات الاقتراع، تسبقه زغاريد زوجته القوية والمتواصلة وهتافاته" تعيش الحرية، تحيا الديمقراطية "لم يتوقف عن توزيع الحلوى والزغاريد التي تعلو عندما يرمي احد افراد عائلته ورقة الانتخاب في الصندوق...

دخلت عائلة مع طفلها الذي لم يتجاوز سنواته الاربع.. ابى الصغير الا ان يغرس اصبعه في المحبرة معبراً عن امله في ان يكون ناخباً ذات يوم.. قالت والدة الصغير: اننا اليوم هنا وفاء لشهدائنا .. لقد اعدم صدام اخت زوجي وعائلتها جميعاً.. وقد اعدم ابي ايضاً، فمن اجلهم ولكي يكونوا معنا.. وليفرحوا فرحنا جئنا اليوم"..

طلقوس فرح

استقبلت إحدى محطات المركز في يومها الاخير دخول عروسين شابين اليها.. لقد كان قرارهما الانتخاب اولاً، وبعد ذلك توقيع عقد الزواج.. " سنخبر أولادنا واحفادنا عن هذا اليوم العظيم عن عرس الشعب العراقي".. لم تنقطع الزغاريد خلال فترة وجودهما في المحطة التي ودعتهما كما استقبلهما بالزغاريد ...

هؤلاء هم احفاد مؤسسي اولى حضارات العالم.. هذا هو الشعب العراقي..

معجزة اسمها العراق

تحت الضوء

حسين محمد عجيل

إذاً قد مر أسبوعان على أكبر حدث عراقي منذ سقوط النظام قبل سنة وتسعة أشهر. بخروج الملايين الثمانية والنصف لتقول قولها الفصل ضد الارهاب والقتلة والفوضى وقوى العماء جميعاً، بأن خيار الحياة وخيار الوحدة الوطنية والتمسك بقيم الديمقراطية الوليدة هو خيارها الستراتيجي، فكان الفائز الأول هو المواطن العراقي ومعه جميع القوى والحركات والتيارات السياسية التي تحترم إرادة الناخبين وتوجهاتهم، بغض النظر عن عدد الأصوات التي أحرزتها أو حجم التمثيل الذي ستتمثل به في الجمعية الوطنية، والخاسر الأوحد كان الإرهابيون ومن يدعمهم والواقفون خلفهم وأمامهم.

ولو أن الأمور جرت كما كنا ندعو ونتمنى، وتضافرت جهود الأحزاب والحركات السياسية ومنظمات المجتمع المدني والهيئات الاجتماعية والناشطون السياسيون المستقلون والنخب الثقافية في البلاد.. مع الجهد الذي بذلته المفوضية العليا المستقلة للانتخابات في التعريف والتثقيف الديمقراطي، وتوفير الوسائل والآليات التي تسهل، بأعلى قدر ممكن من الشفافية، تأمين وصول الناخبين في كل أرجاء العراق إلى صناديق الاقتراع، لتحققت نسبة من المشاركة أذهلت العالم أكثر مما هو مذهل الآن، ولكان أكثر من ثمانين بالمئة من الذين لم تتح لهم المشاركة اندفعوا مع مواطنيهم. مع أن الكثيرين من هؤلاء، وفي أشد المناطق توتراً، توجهوا فعلاً إلى صناديق الاقتراع تحت أحلك الظروف، وتجاوزوا عقد الخوف وحطموا الحاجز النفسي في تحد للإرهاب وقوى العماء جاء في وقته المناسب ليكسر شوكتهما..وللأسف واجهتهم عقبات فنية وأمنية ولوجستية حالت دون مشاركتهم. ولكن النسبة العالية التي تحققت، مهما كانت بمنطق لغة الأرقام، تدعو حقاً إلى الفخر على المستوى الوطني العام من غير ما تفكير بتسلسل الفائزين الذين يكفيهم أنهم حظوا جميعاً بهذا الإقبال من جمهور المواطنين العريض، وأما حظوظهم التي أعلنتها المفوضية العليا فستتغير صعوداً وهبوطاً بالتأكيد في الدورة القادمة وما يتلوها، تبعاً لما ستقدمه القوى والأحزاب والتيارات السياسية الفائزة من جهد وما تعكسه من مصداقية في الشهور التالية.

والآن نتساءل: أليس هذا استفتاءً شعبياً، يحمل كل دلالات القصدية المفرطة التي تحمل بين ثناياها إمكانية ا لتعرض إلى شتى الاحتمالات الخطرة، قال فيه الشعب العراقي بوضوح، في رسالة مفتوحة للعالم عبر الفضائيات، بأنه شعب واعٍ ومسالم يرغب بالحياة الحرة الآمنة ويتقبل بفرح، لأصالة كامنة فيه، المنهج الديمقراطي وينبذ العنف والإرهاب برغم ترسبات العقود الثلاثة المريرة التي حاولت أن تجعل الاستثناء قاعدة. كانت الرسالة متشعبة، على بساطتها، تقول للإرهابيين من الداخل والخارج: كفوا فنحن لا نخاف سكاكينكم ولا قنابر هاوناتكم ولا سياراتكم المفخخة ولا أحزمتكم الناسفة، لا جدوى مما تفعلون .. الموت الذي تقيمون مآدبه على أجسادنا كل يوم سيحصدكم في نهاية المطاف، فتقبلوا الحقائق الناصعة التي أفرزتها حركة التاريخ، أو عودوا من حيث أتيتم لأن العراق لن يعود بستاناً خاصاً لأي كان يأكل ثمراته ويترك مالكيه الحقيقيين جياعاً يروّعهم ويقتلهم أنى شاء. ورسالةً ثانية إلى قوات الاحتلال تقول: إن خروجنا اليوم بهذه الكثافة وبرغم كل شيء سيختصر المدة التي لابد من انقضائها لكي تخرجوا انتم من البلاد إلى الأبد، ورسالة ثالثة، ودية هذه المرة، إلى القوى والأحزاب والتيارات السياسية في البلاد، أعتقد أنها قرئت جيداً، والجميع أدرك فحواها: لا نقبل منكم أداءً في القادم من الأيام لا يرتقي إلى مستوى أدائنا يوم الانتخابات.

ولنا أن نتصور أن الجلسات الأولى للمجلس الوطني قد تشهد قبولٍ مقترح باعتبار عيد البنفسج يوم ٣٠ كانون الثاني عيداً وطنياً للعراق بديلاً من التاسع من نيسان؛ لأن الإرادة الشعبية هي التي تصنع ملامح العيد، وهي التي تكرسه لتحتفي به من ثم احتفالاً عفوياً، يذكر فيه كل محتف عشرات المواقف التي اختزنتها ذاكرة تيقظت على نحو استثنائي لتسجيل كل مفردات ذلك اليوم بتفصيلاته الحميمة، حين خرج ليشكّل رقماً صعباً مع مواطنيه ليصنع مستقبلاً ويعيد انتاج معجزة اسمها العراق.

مواطنون يتحدثون لـ(المدى) عن ارائهم بالحكومة الجديدة

وعي الشارع العراقي يتوسم حكومة تمثل الجميع

استطلاع - حسن عبود حسن

(اتوقع ان تأتي حكومة تمتلك روح الفريق، يشدها الرابط والدافع للتصدي لاوضاع الفساد الذي استشرى في البلاد) هذا ما بدأ به حديثه السيد علاء اسماعيل الصفار الباحث في تاريخ العراق السياسي رداً على سؤال توجهنا به الى شرائح تمثل الشارع العراقي عن تصورهم العام لشكل الحكومة الجديدة واضاف : "الترابط الادائي بات ضرورة ماسة في ظل الاوضاع الراهنة ونحن بحاجة ملحة الى ائتلاف حكومي قوي، اتوسم هذا الان منبثقاً من الائتلاف المرشح للفوز الان.. وعي الشارع العراقي الراهن يتوسم حكومة عراقية عريضة افعالها ترد الاعتبار للشعب من خلال اجراءاتها التي ترتقي وتلبي الانتظار المنشود فيها".

الوان عراقية

ولا يذهب جلال حسن (صحفي) في الرأي بعيداً إذ يقول: "ان تنوع تشكيلة المرشحين ستفرز بالتأكيد الواناً عراقية متعددة الاتجاهات والتيارات التي ستظهر في بوتقة الوطن لتورق اطيافاً وارفة الظلال في شجرة الديمقراطية التي رواها العراقيون بروح التحدي ضد قوى الظلام الهمجية التي تحاول ان تدس سمومها في جسد البلاد من خلال اعمالها الاجرامية المكشوفة بوضوح كقتل الاطفال والابرياء تحت مسميات بعيدة عن روح الاسلام، وبكل تأكيد فان تشكيلة الدولة الجديدة هي ارادة الشعب العراقي لانه اختار مرشحيه من خلال صناديق الاقتراع بحرية تامة في اول ممارسة ديمقراطية على مستوى المنطقة العربية وشرعية الانتخابات دلالة واضحة على شرعية الحكومة الجديدة التي سوف تعمل على تحقيق مطالب الشعب الذي انتخبها .

علمانية ومتعلمنة

لكن المهندس حيدر علي يرى ان من الصعوبة تحديد شكل الحكومة ويعلل ذلك بقوله "ان طبيعة وشكل الحكومة لا يمكن ان يتم تحديدهما من خلال الرؤى الايديولوجية والطوباوية او التأملات على قدر ما يحددهما الواقع الذي يمر به العراق بالشروط الموضوعية التي تتحكم بهذا الواقع ومن المعروف ان العراق حافل بالتعدد الاثني والعرقي والطائفي مما يتطلب حكومة سياسية تؤمن احترام الاخر والانفتاح عليه، وتؤمن بحق الاختلاف وهذا لا يتحقق الا بالانظمة المتعلمنة وليست بالضرورة العلمانية".

اما عباس جبر صحفي فيقول:" كما هو مذكور في قانون إدارة الدولة العراقي فان شكل الحكومة سيكون فيدراليا، موحداً وفيه نظام التوافق ما بين الكيانات السياسية المنتخبة، وعلى العموم الحكومة القادمة هي حكومة انتقالية مهمتها محددة بوضع الدستور وسن القوانين ومن ثم تحديد شكل الحكومة العراقية القادمة في ٢٠٠٦ .

الكرة في ملعب الاحزاب

وكان آخر المستطلعين هو السيد باسم ناصر خلف/ صاحب مكتبة، الذي قال: " بعد الثورة البنفسجية في ٣٠/ ١٢/ ٢٠٠٥ يوم زحفت الملايين صوب مراكز الاقتراع متحدين كل انواع الصعاب صارت الكرة في ملعب الاحزاب والتيارات السياسية المنتخبة، فالمواطن ادى واجبه نحو وطنه وسيطالب باستحقاقاته التي هي لا تتعدى حكومة متوازنة سياسياً وعرقياً ودينياً، ونحن نعول على تلك القيادات في ذلك وبرمجة شعاراتها الى واقع ملموس، لأن ما يمتلكه الكثير من الشخصيات القيادية حالياً من الاساسيات الدينية، وذلك لان الانتخابات شملت مجمل الطيف العراقي وبكل انواعه".

اما وحيد شبل (مصمم بوسترات سياسية) فيقول: "ليس للحكومة شكل في المرحلة القادمة، انما هي نتيجة طبيعية لمن يشغل مقاعد اكثر في الجمعية التشريعية وسينال من المقاعد الوزارية على قدر حجمه، المسالة بعد الان لن تكون توافقية ولا محاصصة فيها".

نريد حكومة علمانية

في حين تتمنى الصيدلانية نهى الصالحي ان تكون الحكومة علمانية، وعن هذا تقول: " انا لست سياسية ولا يمكنني مع هذا الكم الهائل جداً من التيارات السياسية ان اتوقع أي شكل للحكومة القادمة لكنني اتمنى ان تكون حكومة علمانية ذات تنوع تحترم المجتمع العراقي.

ويشارك محمد مطلك/ مدرس، في هذه الامنية لكن من جانب آخر ويقول: "باعتقادي ان شكل الحكومة سيفرض الواقع من خلال فرز الاصوات واتمنى ان يكون المناخ المستقر للحكومة المترقبة على أسس المجتمع المدني وان يكون هدفها متابعة الاعمار والقضاء على عناصر الفساد".

اما عبود عزيز/ طالب جامعي فيقول :"من خلال تتبع مجريات الاحداث وما حققته القوائم الرئيسة على ساحة الواقع فأرى ان الصوت الاقوى هو لقائمة الائتلاف العراقي الموحد ولكن ليس هناك استئثار بالسلطة حسب ما أعلنت قيادات هذه القائمة فمن خلال هذه الرؤية فان شكل الحكومة سيكون ائتلافياً يضم جميع تنوعات الشعب العراقي".

آراء متباينة

لكن سوزان جاسم / طالبة جامعية ترى ان الحكومة القادمة لا تختلف عن الحالية وعن ذلك تقول: مهما كانت نتيجة الانتخابات في الجمعية الوطنية فان اللائحة الفائزة ستشكل حكومة لا تختلف في خطواتها العامة عن حكومة د. اياد علاوي ومهما تكن طبقتها الايدلوجية فهذه الحكومة ستكون حكومة تصريف اعمال والاعداد لصياغة الدستور ورفع مستوى الخدمات الاساسية".

الا ان زميلتها سعاد فيصل لها رأي آخر فهي تقول "اتوقع ان يكون شكل الحكومة القادم علمانياً لكنه يحافظ على تاريخ نظيف ومشّرف يجعلنا متفائلين وعلى كل حال فهي حكومة مؤقتة قد يكون فيها بعض الثغرات الا انها ستكون بلا شك مقبولة بنسبة معقولة من قبل الذين يحبون لعراقهم الخير".

قصة استشهاد ناخب شجاع

انحنى سالم اليعقوبي ليقبل بصمة الحبر البنفسجي على السبابة اليمنى لشقيقه التوأم، التي بردها الموت.

"تلك هي الإصبع التي صوتّ بها"، قال شكر جاسم، صديق الرجل الميت، وقد راح يذرف الدمع ويحدق في الجثة، التي مددت على بلاطة التغسيل، وأضاف: "أنه شهيد الآن".

لقد أشرت البصمة ذلك اليوم الذي ذهب فيه نعيم رحيم اليعقوبي ، البالغ ٣٧ عاماً، ليمارس حقه في الانتخاب الحر، وهو اليوم الذي دفع فيه حياته ثمناً لذلك الامتياز الصعب.

شهداء بالعشرات

فقد كان اليعقوبي واحداً من العشرات الذين ماتوا في هجمات بالتفجيرات وقذائف الهاون، في ذلك الاحد الذي سارت فيه ملايين الناس الى مراكز الاقتراع في أول انتخابات حرة تجرى في البلد على مدى عقود من الزمن.

وقد فجر انتحاري نفسه خارج مدرسة ابتدائية كردية غربي بغداد، فانتشرت عشرات الشظايا ليصيب بعضها اليعقوبي.

ويحظى ضحايا ذلك العنف الذي شهده يوم الانتخاب بتكريم الاسر العراقية والاصدقاء، باعتبارهم من أواخر شهداء عامين تقريبا من التمرد الذي اودى بحيوات الالاف، وهم رجال شرطة حاولوا ايقاف الانتحاريين ومنعهم من دخول مراكز الاقتراع، واطفال كانوا يسيرون بصحبة آبائهم وامهاتهم الماضيين الى التصويت او، كما في حالة اليعقوبي، بائع سمك بسيط احضر من بيته الشاي لشغيلة الانتخاب في المدرسة .

وفي مراكز التصويت المحطمة تلك رفض الناجون المغادرة الى بيوتهم، منتظرين بثبات الادلاء باصواتهم بينما كان رجال الشرطة يلمون اللحم المتناثر، هنا وهناك.

لقد خرج المواطنون، الذين اضطهدهم نظام صدام، ذلك اليوم في اعداد غفيرة، وجيء بأولئك الذين قتلوا في التفجيرات الى مقبرة النجف المنبسطة ليدفنوا في اقدس مدينة بالنسبة للمسلمين الشيعة.

وبينما كان الغسال يقوم بعمله، كان هناك دم أسود كالحبر الذي على أصبعه يجري من جراح في مؤخرة رأس اليعقوبي. وقد تشبث بالجثة أربعة اخوة له يبكون، وراح جمع من النساء المتلفعات بالسواد يندبن في الخارج.

مستقبل العراق

قال هادي عزيز، وهو جار يبلغ الستين عاماً من العمر: "لكنا كنا نتحدث عن الانتخابات . وكنا ننتظر بلا صبر هذا اليوم حيث نستطيع اخيراً تحرير انفسنا من كل ما نعانيه من متاعب. وما كان نعيم الا كأي عراقي يأمل مستقبلاً أفضل للعراق، ويريد الاستقرار للبلد. ونحن نأمل بعد الانتخابات ان تنسحب القوات الامريكية من بلدنا".

قبل يومين من التصويت ، مضى اليعقوبي مع صديقه، جاسم، الى الكاظمية المجاورة ليشتري ثوباً جديداً للمناسبة، كما قال جاسم. وقد استيقظ فجراً في ذلك الاحد وارتدى الثوب. "كان فخوراً جداً وقد تعطر وراح يوزع الشاي والفطائر الحلوة".

الشهيد منح صوته لمن شاء

وعند الساعة الثامنة والنصف صباحاً، سار اليعقوبي الى المدرسة الابتدائية المحلية ليدلي بصوته، على حد قول جاسم. وفتشه رجال الشرطة وهو يقف في الصف. وهناك، في أحد صفوف المدرسة، وضع إشارته على مربع في قائمة الاقتراع وبعدها مضى اليعقوبي، الذي اثاره تفاني المتطوعين للعمل الانتخابي، الى بيته ليعد لهم الشاي الساخن.وكان قد انزل الكؤوس لتوه ومضى سائراً من المدرسة حين تناثر الانفجار عبر المكان، كما قال جاسم. فاصابت شظايا المعدن اليعقوبي في كامل ظهره، من رأسه حتى اخمص قدميه .

الشهيد .. الشهيد

قال جاسم، والغسّال يمسح الدم عن الجراح: "ليس الذي فجر نفسه هو الشهيد ، فهو لم يكن مسلماً حقيقياً، هذا هو الشهيد. أي دين هذا الذي يطلب من الناس ان يفجروا انفسهم؟ انه شيء غير مكتوب في القرآن".وكانت هناك في الخارج سيارة خشبية تتوقف وعلى سقفها تابوتان . وكانت الجثتان لأخوين قتلتهما قذيفة هاون، وهما يسيران مع أبويهما نحو مركز انتخابي في مدينة الصدر.

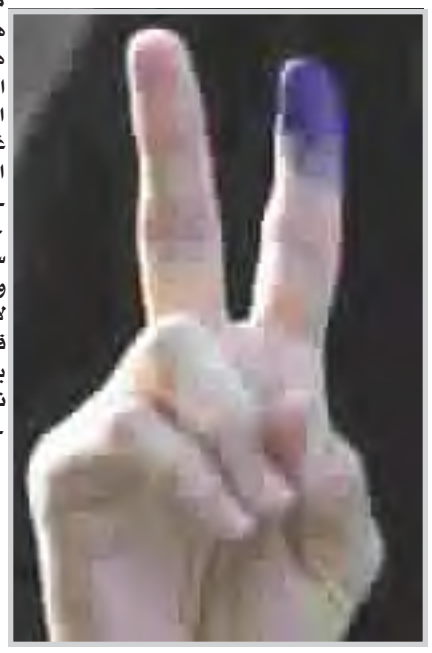

ادوارد ونغ
ترجمة - عادل العامل
عن - نيويورك تايمز